أثر العامل الحضاري في دولة بني مرين

المدرس المساعد
رنا عبد محمد
Ranaab1984@gmail.com
المديرية العامة للتربية في محافظة النجف الأشرف

The impact of cultural factors in the Marinid stat

Asst. Lect.
Rana abd muhammad
General Directorate of Education in Najaf Governorate

الملخص:-

يسعى البحث إلى بيان الجانب الحضاري لدولة بني مرين في مختلف قطاعات الدولة، ليشمل القطاع السياسي والإداري والقطاع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والفكري والديني.

ضم البحث مقدمة ومبحثين ونتائج وقائمة المصادر والمراجع، إذ غطى المبحث الأول نبذة تعريفية عن تاريخ دولة بني مرين، في حين تضمن المبحث الثاني المظاهر الحضارية في دولة بني مرين، وكان من النتائج التي توصل إليها البحث، ان العامل الحضاري أضاف للدولة المرينية رونقاً جديداً ساهم في تطورها وازدهارها خلال سنوات حكمهم، محدثا تغيراً كبيراً في أوضاعهم التي كانوا عليها قبل دخولهم إلى بلاد المغرب الاقصى، وهذا يعود إلى الجهود التي بذلوها في تيسير شؤون الدولة.

الكلمات المفتاحية: بني مرين، الدولة المرينية، مدينة المنصورة، فاس الجديدة، المقصورة.

Abstract:-

The research seeks to clarify the civilizational aspect of the Marinid state in the various sectors of the state to include the political and administrative sector, the economic, social, cultural, intellectual and religious sector. The research included an introduction, two chapters, results and a list of sources and references. The first chapter covered an introductory overview of the history of the Marinid state, while the second chapter included the civilizational aspects of the Marinid state. Among the results reached by the research was that the civilizational factor added a new luster to the Marinid state that contributed to its development and prosperity during the years of their rule, causing a great change in their conditions that they were in before entering the country of the Far Maghreb. This is due to the efforts they made to facilitate the affairs of the state.

Keywords: Banu Marin, Marinid State, Mansoura City, New Ain Fez, Al-Maqsura.

المقدمة:

اجتهد سلاطين بني مرين على بسط سلطانهم في البلاد الخاضعة تحت نفوذهم، ساعين إلى ادخال اساليب متنوعة ومختلفة، تهدف إلى تقدم بلادهم وتطورها واضفاء مظهر حضاري ملموس عليها في مختلف انظمة الحكم.

اشتمل البحث على مقدمة ومبحثين، إذ تناول المبحث الأول نبذه تعريفية عن تاريخ دولة بني مرين، اما المبحث الثاني فجاء حول المظاهر الحضارية في دولة بني مرين، كما وتضمن البحث مجموعة من النتائج التي كانت حول ما تم التوصل اليه في هذا البحث، وقائمة المصادر والمراجع.

يهدف البحث إلى بيان دور العامل الحضاري في نمو وازدهار الدولة المرينية.

اعتمدت في هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع، ومنها كتاب روضة النسرين في دولة بني مرين لابن الاحمر وكتاب تاريخ ابن خلدون لابن خلدون، ، فضلاً عن المصادر والمراجع الاخرى.

كان المنهج المتبع في الدراسة المنهج التاريخي - التحليلي.

المبحث الأول

نبذه تعريفية عن تاريخ دولة بني مرين

أولاً: نسبهم

يعود نسب بني مرين إلى قبائل زناتة البريرية على وفق ما جاء به عدداً من النسابة والمؤرخين [١] ،وهم ولد (مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن وجديج بن فاتن،...)[٢]. سميت دولة بني مرين بالدولة المرينية نسبه إلى مرين[٣].

حظي بني مرين بمكانة بارزة لدى قبائل زناتة، اذ كانوا اعلاهم في الحسب واشرفهم في النسب، واعزهم في الكرم واحسنهم في الشّيم[٤].

ثانياً: قيام دولة بني مرين وسقوطها (٦١٠- ٨٦٩)

وفق ما جاء في روايات المؤرخين ليس هناك اتفاق حول تحديد الاماكن التي اقامت بها

القبائل المرينية، الا انها ورغم ذلك قادتهم العوامل إلى التقدم فاصبحوا يقفون على مداخل المغرب الاقصى ومراقبة ما يقع من أحداث[٥].

وجد المرينيون الفرصة في الدخول إلى المغرب الاقصى والاستقرار فيها عام ٦١٠ للهجرة، بعد وقوع الاضطرابات في الدولة الموحدية، وضعف دولتهم وانهيارها بعد موقعة العقاب عام ٦٠٩ للهجرة، وفكروا بالتحول إلى قبائل مستقرة وحاكمة شأنها شأن المرابطين والموحدين، فأرسلوا إلى اخوانهم بشد الرحال إلى هذه البلاد مخبريهم بما فيها من ثروات طبيعية ثمينة، فضلا عن فراغها السياسي فلا احد هناك من سيعمل على منازعتهم عليها[٦].

دخل بني مرين بلاد المغرب الأقصى بقيادة أميرهم عبد الحق بن محيو(٥٩٢ - ٦١٤)، الذي احسن إليهم[٧].

عد عبد الحق المريني أول من عمل على التفكير في بناء دولة في المغرب الأقصى ونقلهم من عيشة البداوة[٨].

أخذ قادة دولة بني مرين يتوارثون العرش ويتوسعون في البلاد إلى ان آل امر الحكم إلى السلطان أبو محمد بن عبد الحق بن أبي سعيد (٨٢٣ - ٨٦٩)، الذي كان آخر سلاطينهم فقد ضعفت الدولة بعهده، فانتهت دولة بني مرين إلاّ أن بنو مرين كافحوا حتى استقرت على يد ابناء عمومتهم من بني وطاس[٩].

المبحث الثاني

المظاهر الحضارية في دولة بني مرين

أولاً: نظام الحكم

اهتم الملوك المرينيون بسلطة الحكم واتبعوا النظام الفردي والوراثي في تسلمه[١٠]،واطلقوا على انفسهم الالقاب، فاطلق لقب أمير المؤمنين على أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦ - ٦٨٥)،وعلى الرغم من اتساع دولته ومقدرته ونجاحه في القضاء على دولة الموحدين، الا ان أبو يوسف ومن تسلم الحكم من بعده من امراء الدولة المرينية لم يطلقوا على انفسهم لقب الخلافة ، في حين اكتفوا بأطلاق القاب غيرها كلقب أمير المسلمين، ناصر الدين، المجاهد في سبيل رب العالمين، ملك البحرين، ملك العدوتين[١١].

لما اعتلى امراء بني مرين العرش اخذوا يسعون إلى الارتقاء في مراتبهم، فعد الأمير أبو بكر بن عبد الحق (٦٤٢هـ- ٦٥٦) اول من اعتلى مرتبة الملك من امراء بني مرين[١٢]، الا ان من سعى سعيه وعمل على تهذيب ملك بني مرين، واكسبه رونق الحضارة واضفى عليه بهاء الملك، فكان الأمير يوسف بن يعقوب بن عبد الحق (٦٨٥ - ٧٠٦)[١٣].

كان لتسلم منصب الحكم مراسيم محددة يقوم بأدائها الأمير المريني، فتولي الحكم مباشرة يتولاه السلطان المريني عن طريق المرحلة الأولى وهي بيعة خاصة يبايع فيها ولي العهد من اهل الحل والعقد وهم الوزراء والاشياخ من بني مرين وكبار رجال الدولة، إذ ان كبار رجال الدولة كانوا يمثلون مجلس وصاية على العرش، ثم تأتي المرحلة الثانية وهي اخذ البيعة العامة من العرب والقبائل وقبائل زناتة والعساكر والموالي والحاشية والصنائع والعلماء والوجهاء [١٤].

عمل سلاطين بني مرين شارات محددة؛ وذلك لضرورة اقتضاها اضفاء الابهة للملك، وكان من اهم تلك الشارات:

١- تطلب خلال مسير السلطان المريني في مواكب الساقة، اتخاذ الآلة مثل نشر الرايات والالوية وقرع الطبول [١٥].

٢- السكة: اهتم سلاطين بني مرين بالعملة لدورها الكبير في تعاملات المجتمع، ففي عهد يعقوب بن عبد الحق نظمت السكة المغربية تنظيم جديد؛ وذلك بعد استقرارها، وتم اختيار النقود المتداولة في المغرب من جديد[١٦].

٣- اولى بني مرين الأمور الكتابية في المراسلات اهمية خاصة وتمثلت بالختم على الرسائل المرسلة والصكوك ولأجل ذلك صنع خاتم من الذهب،مرصع بالفيروز والزمرد والياقوت يوضع في الاصبع يقوم بلبسه السلطان أو من يكون نائب عنه فهو يدل على اعتباره شاره من شارات الملك [١٧].

٤- الطراز: سعى بني مرين على الاهتمام بالمظهر وعد من علامات الابهة وشارات الملك ويتمثل الطراز برسم اسم الملك أو علامات تخصه على الثياب المخصصة له، وكانت تصنع من الديباج أو الحرير أو الابريسم تكتب بخيط الذهب أو خيوط ملونة من لون الثوب من غير خيط الذهب[١٨].

٥- المقصورة: عدت المقصورة من شارات الملك اتخذها سلاطين بني مرين عند توليهم العرش للصلاة والدعاء في الخطبة في المساجد[١٩].

كانت ولاية العهد في دولة بني مرين من المسائل التي عمل بها في وقت مبكر من تاريخهم والتي بسببها نشأ نزاع وصراع بين من كان يدعي الحق في الحصول عليه مما أدى إلى نشوب حروب فضلا عن التدخلات الخارجية، ويعود سبب ذلك إلى عدم وجود نظام تم اقراره لولاية العهد ينعقد الاجماع عليه ويكون عرفاً يتم اتباعه لدى دولتهم.

لعبت وظيفة الحاجب والوزراء دوراً كبير الأهمية في عهد بني مرين، بالأخص في ايام حكم المتأخرين منهم، واطلق لقب المزوار على الحاجب في بادئ الأمر، واختلفت اهمية وظيفة الحاجب في دولة بني مرين بحسب الدول والعصور، فكان الحاجب يقوم ببعض المهام ومنها ترتيب جدول مقابلات السلطان وغيرها[٢٠].

أولى بني مرين شؤون الكتابة اهتمام ملحوظ لأنها عدت بالنسبة لهم من اهم واخطر الوظائف التي كانت معاونه للسلطان المريني، وعلى أساس ذلك قام سلاطين بني مرين من تخصيص ديوان مستقل لها، وسمي بديوان الانشاء أو العلامة [٢١].

سعى بني مرين إلى تأمين العدل وتوفير الأمن والأمان في أرجاء دولتهم والتي عدت من فلسفة حكمهم التي نشأ النظام عليها، لذلك عمل سلاطينهم إلى الاهتمام بشكل بالغ الأهمية في امر القضاء، لأيمانهم بأهمية ذلك في بث العدل بين الرعية، وعملوا على الحكم بالكتاب والسنة المطهرة، وجعل الناس يشعرون بالأمن والطمأنينة على حياتهم وما يمتلكونه من ممتلكات داخل دولتهم[٢٢].

كانت وظيفة النظر في المظالم من الوظائف التي حرص العديد من سلاطين بني مرين على أقامتها والجلوس للنظر في المظالم التي كانت ترفع لهم من قبل الناس وتتطلب منهم إبداء حكمهم فيها[٢٣].

حرص سلاطين بني مرين على ضمان نشر الأمن والأمان فعملوا بنظام الشرطة، فعين صاحب الشرطة في جميع أقاليم الدولة و كان يأخذ أوامره من الوالي أو من حاكم المدينة، ولتعزيز دور الأمن في دولتهم وضع إلى جانب ذلك ديوان الحسبة والذي كان يقوم بمثابة معاونة للقضاء والشرطة[٢٤].

ابدى سلاطين بني مرين اهتمامهم في إدارة الأمور المالية فكان نظامهم يقوم على تولي كل والي من ولاة الاقاليم مسؤولية الجباية في اقليمه بشكل كامل فضلا عن تولي امر الانفاق في ولايته، وما زاد عن ذلك يتم ارساله إلى العاصمة حيث الإدارة المركزية(٢٥).

ارسى سلاطين بني مرين قواعد هم العسكرية لغرض الدفاع عن دولتهم من المخاطر والهجمات، فتشكل الجيش المريني والذي كان يضم عناصر متنوعة من عرب وزناته وصقالبة وأندلسيين وعبيد وغز، وتألف الحرس من ثلاث فئات اولها من المسيحين والاخرى من الاكراد (الغز) فضلا عن تشكل نواة للحرس الاسود والتي كانت مهمتها البقاء في العاصمة وعدم الخروج منها الا لآجل مرافقة الملك(٢٦).

استعمل المرينيون الادوات الحربية التي قد استخدمت قبلهم، من الاسلحة وآلات الحرب والمنجنيق والنبال والسيوف، واخترعوا البارود الذي نسب اليهم، إذ اخترعه احد اطبائهم، وذلك سنة ٧٦٨ للهجرة(٢٧).

اهتم سلاطين دولتهم بالجانب البحري واولوه عناية كبيرة، فكان الاسطول المريني يتألف من عدد من القطع الموزعة على جميع موانئ المملكة، وتضم بذلك سلا وسبته وطنجة وباديس وانفا وغيرها من موانئ الاندلس والمغرب الكبير، وعين على راس كل ميناء قائد يتولى مهمة الاشراف على شؤون الاسطول، فضلا عن ذلك كان هناك قائد اعلى ليكون فوق مجموع القواد واطلق عليه تسمية " الملند "، وكان يعقوب بن عبد الحق اول من اهتم بالأساطيل من المرينين والذي إليه ينسب بناء دار الصناعة بمدينة بسلا(٢٨)، الذي بناه المهندس الاندلسي محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الحاج الاشبيلي الاصل(٢٩).

ثانياً: الجانب الاقتصادي

بعد سقوط الموحدين وقيام دولة بني مرين، كانت للحياة من بعد قيام دولة بني مرين بصمات واضحة في الواقع الاقتصادي فالأوضاع الاقتصادية في البلاد قد تأثرت بشكل كبير في الظروف التي ادت إلى قيام دولة بني مرين بجميع نواحي الحياة في المغرب في القرنين السادس والسابع الهجري(٣٠)، إذ اختلفت الأوضاع الاقتصادية بحسب الملوك الذين حكموها، فازدهرت الحياة الاقتصادية خلال فترة تقدمها السياسي(٣١).

اعتمدت الدولة في تمويلها على عدة مصادر، كالزكاة والجزية والخراج والغنائم والضرائب وما يأتي من الصادرات، وتصب هذه الموارد في خزينة الدولة مع المكوس، واهتم سلاطين بني مرين بتعيين اشخاص من ذوي السمعة الجيدة والعدل يجمعون هذه المصادر حتى يتم تمويل الدولة [٣٢].

سعى بني مرين إلى الاهتمام بالشأن الزراعي للبلاد، فوضعوا النواعير لتنظيم الري، فازدادت بشكل كبير في عهد أبي عنان(٧٥٢- ٧٥٩)، واستغلت ناحية سبته ووادي نفيس وسوس لزراعة قصب السكر، وكان هناك اربعون معمل في مراكش يعمل في تصفية السكر، وتميزت مدينة سجلماسة ببساتينها المتعددة التي تحيط بها، كما استغل المرينون الثروة السمكية لديهم، إذ كان يوجد في مصيد سبته مائة نوع من الاسماك،وليس هذا وحسب بل تميزت بكثرة احجار المرجان فيها، فأصبح بذلك يعد من الموانئ الدولية الحقيقية في ميدان النشاطات التجارية، وقد كانت لأقطار المغرب العربي مع اقطار السودان التي كانت تجاورها نشاط تجاري كبير آنذاك في عهد دولة بني مرين[٣٣].

نشطت الصناعة هي الاخرى بشكل ملحوظ في عهد دولة بني مرين، فكانت اشكال البنايات يوضع لها تصاميم ترسم سلفا، وشكل فريق خاص يتابع في هذا الشأن، إذ ضمت الفرقة عدد من الصناع والتجار يختار رؤساء من بينهم، يكون لهم حرية التصرف في اختيار القرارات التي تصب في صالح المهنة التي يتولون امر رأستها ويطلق عليهم اسم الامناء ، ولم يتغافل المرينيون عن الغش والتدليس في الصناعات، إذا قاوموها وتابعوها وكان هناك دار يشرف على البناء والتجارة وما يتصل إليهما بمدينة سبته[٣٤].

حقق بني مرين تقدما في المجال الصناعي ومن أسباب ذلك يعود إلى وفرة المواد الضرورية للصناعة كالحديد والفضة والنحاس والتوتيا، التي تستعمل لصبغ النحاس الأحمر فيتحول إلى نحاس اصفر[٣٥].

ودخلت الصناعة في المواد الزراعية فاشتهرت الدولة المرينية بصناعة زيت الزيتون الذي يتم استخراجه من عصر الزيتون، إذ حققت مدينة فاس شهرة كبيرة في مجال صناعة زيت الزيتون وذلك لقربها من غابات الزيتون الواقعة في شمال المدينة إلى نهر يدعى سبر ومن ثم إلى نهر ورغة، ولم تقتصر الصناعات في حكم دولة بني مرين على ما تقدم

وحسب، بل نشطت بعض الصناعات التي يتطلب في صناعاتها الدقة مثل صناعة الاسطرلاب والساعات، فضلا عن ذلك اولى سلاطين بني مرين اهتماما بالغا في الصناعات الحربية نظراً لاحتياجهم إلى تكوين جيش قوي يحميهم(٣٦).

ثالثاً: الحياة الاجتماعية

تميز المجتمع في عهد الدولة المرينية بتعدد أصنافه، إذ تألفت الطبقة الحاكمة من البربر الذين مثلوا الاكثرية في البناء الاجتماعي في المجتمع المريني، إذ تعود الطبقة الحاكمة إلى واحدة من القبائل البربرية والمعروفة بإسم قبيلة بني مرين، فضلا عن ذلك كان المجتمع المريني يضم عدداً من الاندلسيين الذين جاءوا من الاندلس، والعرب الا ان المرينيون في مرحلة تأسيسهم لدولتهم لم يعتمدوا على القبائل العربية؛ وذلك لتذبذب ولائها بين الموحدين وطاعتها للمرينين، لذلك نقلهم السلطان يعقوب بن عبد الحق من درعة إلى مدينة مراكش وذلك لآجل جعلهم تحت نظر عماله، في حين ارتبطت الاسر الحاكمة من بني مرين ببعض القبائل العربية عن طريق النسب، وقد ضم المجتمع المريني اقليات صغيرة من الروم واليهود والاتراك الغز(٣٧).

كان لكل فئة من فئات المجتمع المريني الملابس الخاصة بها، إذ كان السلطان يرتدي البرنس الأبيض الرفيع ولا يرتديه ذو سيف غيره، اما زيه العسكري وزي المشايخ وكافة الجند فكانوا يرتدون برؤوسهم عمامة طويلة ذات عرض قليل مصنوعة من الكتان وفوقها احرامات كانوا يلفونها على اكتافهم، ويحملون السيوف بأيديهم ويلبسون ما يعرف عندهم الانمقة وهي الخفاف في ارجلهم، ويشدون حديدة في مؤخرة خف الرائض فوقها وتعرف بالمهاميز، ويتخذون المناطق وهي الحوائص ويعبرون عنها بالمضمات من ذهب أو فضة وقد تكون بلغت كل مضمة منها الف مثقال الا انهم لا يشدونها الا في يوم الحرب أو التمييز ويكون يوم عرضهم لإمكانياتهم العسكرية على السلطان(٣٨).

أما لباس العلماء واهل الصلاح فممكن ان يرتدوا البرنس الابيض والملون، وقد اقتبس تقليد اتخاذ اللباس الابيض من اهل الاندلس(٣٩).

في حين كان زي القضاة والعلماء والكتاب وعامة ابناء المجتمع من الناس مقارب لزي الجند، الا ان عمائمهم كانت خضراء ولا تلبس الخفاف في الحضر ولم تمنع في السفر(٤٠)،

وكان الفقراء من الايتام يلبسون ملابس توفرها لهم الدولة احياناً من كل عام، وهي تتمثل بارتداء قمصان تربط من فوقها الاحزمة(٤١).

مكانة المرأة في المجتمع:

بقي المجتمع المغربي في العصر المريني ملتزم بالعادات والتقاليد والقيم السائدة في ما يتعلق بمكانة المرأة، كما ساهمت المرأة في الميدان السياسي، وكان لها دور بارز في مواقف عديدة صبت في خدمة ومصلحة الدولة، فضلا عن مساهماتها في ميادين الحياة الأخرى كالعمارة وغيرها(٤٢).

رابعاً: الاحتفالات والألعاب

اهتمت الدولة المرينية بتشجيع وتقديم الهدايا للناجحين وإحياء المناسبات وإقامة الاحتفالات، إذ كان أبو الحسن المريني علي بن عثمان (٧٣١ - ٧٥٢)، يهتم بالخطباء والائمة والقضاة وقواد العسكر والحاشية ويقدم لهم العطايا في الاعياد كعيد الفطر والاضحى والمولد النبوي، واحتفلت الدولة المرينية منذ عهد يوسف بن يعقوب سنة ٦٩١ رسمياً بعيد المولد، ولم يكن بني مرين أول من اقام ذلك إذ سبقوهم بذلك بني الغز في سبته(٤٣).

سعت الدولة المرينية إلى ادخال اجواء البهجة وخلق جو من النشاط والحيوية في المجتمع، فقد كانت تجري العاب معينة في قصر الملك، إذ ذكر ان أبو عنان فارس بن أبي الحسن (٧٥٢- ٧٥٩)، بأحد الايام اشرف من احد الابراج على مصارعة بين الثور والاسد، في حين خصصت في مدينة سبته اماكن متعددة للرماية والسباق(٤٤).

خامساً: العمران وفنون البناء

ساهم المرينيون في مجال العمارة، فقاموا ببناء بعض المدن والقرى فضلا عن القلاع، وشيدوا مدارس كثيرة، ومارستانات (مستشفيات)في غاية الأهمية، وتميزوا في فنون البناء فكانوا افضل من نقل عن الفن الاندلسي الاصيل، بعد ان وصل إلى الذروة خلال عصر بني الاحمر(٤٥).

عد بني مرين بناء المدن الجديدة من الأمور المهمة لحاجتهم إليها في تثبيت سلطانهم

وتوسيع نفوذهم فضلا عن اتخاذها مقراً لهم في ايام الحروب، لذلك عزموا على بناء عدداً كبيرا من المدن الجديدة خلال فترة حكمهم، ومن تلك المدن مدينة البنية، ومدينة فاس الجديد أو (المدينة البيضاء) ومدينة المنصورة (تلمسان)، ومدينة تطاوين أو (تطوان)[٤٦].

عني سلاطين بني مرين ببناء القصور والدور، فقد قام السلطان يوسف بن يعقوب ببناء قصراً بتازا ، وبنى مدينة وجده وبنى بها داراً، وبنى قصراً في مدينة المنصورة[٤٧].

فضلا عن ذلك، اهتم المرينيون بتشييد المساجد الجذابة في جميع انحاء المغرب الاوسط والمغرب الاقصى، إذ تميزت فنونهم في هذا المجال بدقة العمل وكثرة عمل التوريقات والمقرنصات والتي اكثر منها حول المحراب ومن اشهر تلك المساجد، جامع العباد وجامع فاس الجديد والجامع الكبير في تلمسان وجامع القصبة وجامع وجده [٤٨].

سعى المرينون إلى الاهتمام بالجانب الصحي لمواطنيهم فعملوا على بناء المارستانات فقام السلطان يعقوب والسلطان يوسف مارستان المنصورة حول تلمسان، وبنى أبو عنان مارستان بسلا وسط حارة اليهود من حومة باب أحسابت، فضلا عن ذلك اهتموا بتزيين المدن لإضفاء الاجواء الخلابة فشيدوا القناطر والحصون والاسوار[٤٩].

سادساً: الجانب الثقافي والفكري

أولى سلاطين بني مرين الجانب الثقافي والفكري اهتمام كبير؛ وذلك لسعيهم في تطوير مجتمعهم نحو الافضل، فعملوا على بناء المدارس التي تميزت بروعة عمارتها وجهزوها بكل ما تحتاجه من لوازم ومتطلبات، وتكفل السلطان المريني بدفع نفقة الطلبة المقيمون فيها، ويعود اهتمام سلاطين بني مرين بالمدارس؛ وذلك لجعل المدارس مكان يتم فيه تدريس الفقه المالكي، وهذا ما ساعد على رحيل مذهب التوحيد الذي كان مسيطرا على بلاد المغرب فترة طويلة، ومن أولى تلك المدارس التي بناها سلاطينهم مدرسة الصفارين[٥٠].

أما الحياة الفكرية:

عرف عن عدد كبير من سلاطين دولة بني مرين انهم كانوا على مستوى من العلم والمعرفة، منهم أبي الحسن وأبي عنان، إذ كان أبي الحسن وولده أبي عنان يعقدون المجالس الادبية والعلمية، وقد رافقت أبي الحسن إلى افريقية هيئة علمية وفيرة غرق اكثرها وكانوا

نحو اربعمائة وهذا يدل على مدى انتشار الثقافة في المغرب في هذا العهد الذي تميز بكثرة الادباء والفقهاء، في حين شددت اهتماماتهم بعلوم اللغة العربية وهذا ما جعل قسما من مؤرخي الادب يستنتجون من ذلك عروبة اصل بني مرين ، فضلا عن ذلك شهدت بلادهم اقبال واسع في مجال التأليف إذ نشطت حركة التأليف في جميع الفروع وسجلت نشاطاً عظيما، كالوثائق للقاضي الفشتالي(٥١).

أما العلوم الدينية:

ازدهرت العلوم الدينية في عهد بني مرين بفروعها المتنوعة كالتفسير والحديث والفقه، وسعت إلى التوسع في دراستها مع اتباع التبسيط والعمل على التفريع في العلوم، وهذا يدل على ازدياد عدد العلماء الذين برعوا في تلك العلوم، مع وفرة مؤلفاتهم، وتميزت العلوم الدينية بتأثرها بما ساد في المغرب في عهد بني مرين من روح دينية مشبعة بالمذهب المالكي مما انتج في نهاية الأمر جعل هذه العلوم تواكب المذهب المالكي، فضلا عن ذلك شملت الحياة الفكرية توجيه الاهتمام بالمواد العلمية الاخرى مثل اللغة والنحو والجغرافيا والفلك والرحلات والتاريخ والسير والمنطق والفلسفة والرياضيات والطب (٥٢) .

في حين ظهرت في عهد المرينيون علوم كان لها دور في الحركة الفكرية كعلم التصوف، إذ حظي علماءهم بالتقدير والاحترام من قبل سلاطين الدولة،فهذه الحياة الفكرية والعقلية تركت اثرها البعيد في حياة المجتمع المريني في عهد بني مرين (٥٣).

اعطى سلاطين بني مرين للمجتمع المريني الحرية الكاملة في الانتماء إلى المذهب الذي يرغبونه، وعلى هذا الاساس فقد جرد السلطان المريني نفسه من ان يصبح مصدراً للسلطات الدينية واكتفى بأن يكون المصدر في السلطات السياسية فقط (٥٤).

ولد هذا الجو الآمن والمستقر عقائدياً في بلاد المرينيين في المغرب الاقصى،ان تصبح بلادهم بمثابة الملاذ الآمن للكثير من الاندلسيين الذين قدموا من بلاد الاندلس بعد ان هربوا من الاسبان النصارى الذين احتلوها ، فأصبح لهم دور في الحركة والثقافية والدينية في البلاد وكانوا من ضمن طبقة العلماء (٥٥).

النتائج:

جاء بني مرين في ايام حكم الدولة المرينية آنذاك بنظام حكم مختلف بعض الشيء عن الانظمة التي كانت سائدة قبلهم والذى اثمر عن تقدم الدولة وتغيرها وتحضرها وذلك من خلال:

١- عمل بني مرين على ترسيخ سيادتهم والحفاظ عليها من المفسدين من خلال اتخاذ عملة خاصة بهم .

٢- لضمان استقرار حكمهم وحمايته من الدسائس والمؤامرات، اهتم بني مرين بالأمور الكتابية وخصصوا لها ديواناً خاص.

٣-حرص بني مرين على اقامة العدل بين الناس والاشراف على شؤونهم وتوفير الامن لهم؛ لان ذلك يضمن ولائهم للدولة ويجعل الجميع يعود لقانون وبذلك سيسود النظام في المجتمع وتختفي الفوضى .

٤- شكل بني مرين قوة عسكرية ضاربة متنوعة العناصر من اجل بقاءهم وحفظ سلطانهم من مهاجمة الاعداء، ويبدو ان سلاطينهم قد استفادوا من تجارب الدول السابقة واهمية وجود الجيش في بقاء الدولة.

٥- سعى بني مرين على تطوير المناطق التي كانت تحت سيطرتهم فتنوع النشاط الاقتصادي لديهم بمختلف القطاعات الزراعية والصناعية والتجارية، فنجاح الدولة اقتصادياً يعني ثباتها وبقاءها اطول فضلاً عن توفير حياة هانئة للرعية كتوفير فرص عمل لهم ومنعهم من التشرد واللجوء إلى سلوك اساليب منحرفة تضربهم وبالتالي تضر بالمجتمع ككل.

٦- ضم المجتمع المريني طبقات مختلفة مما اعطاها التنوع والاختلاف في جوانب عديدة كاللغة والاديان والعادات والازياء وغيرها، وبالتالي فان المجتمع المريني الذي يضم كل هذه الطبقات المختلفة، يكون قد ضم الوان متعددة من الحضارات التي انصهرت واندمجت ضمن مجتمعهم فزادت في تقدمهم.

٧-ترك بني مرين بصمتهم الخاصة في مجال العمارة، فكان لما تركوه من اثار شاخصة تنقل للأجيال جمال حضارتهم مخلدة ذكراهم في التاريخ.

٨-اهتم سلاطينهم ببناء المارستانات،وهذا يوكد على مدى وعيهم لأهمية هذا الموضوع، فضلا عن بناء المدارس من اجل تثقيف ابناء مجتمعهم والقضاء على الجهل، وبناء المدن لأجل استقرارهم ونقلهم من البداوة وبناء المساجد لتأكيد الهوية والعقيدة الدينية، وكل ذلك يعكس مدى سير الدولة نحو العمل على التطور والتحضر.

٩- اولى بني مرين الجوانب الثقافية والفكرية فضلا عن العلوم الدينية اهمية كبيرة فبرعوا فيها وسجلوا اثاراً عظيمة غنية.

١٠-اهتم بني مرين بالجوانب الترفيهية فضلا عن الاحتفال في المناسبات ، وهذا يعكس مدى تمدن الدولة وسعيها إلى التقدم وتغيير ما كانت عليه من حياة التنقل وعدم الاستقرار، فاصبح لها برامج تواكب من خلالها ما يقع من تطورات في الساحة، ومناسبات تعمق من خلالها اصولها وتربطها وتثبتها دينياً وتاريخيا.

هوامش البحث

(١) القلقشندي، أبو العباس احمد، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: ابراهيم الابياري، ط٢، (بيروت: دار الكتاب اللباني، ١٩٨٢)، ص ١٧٦؛ صبح الاعشى في صناعة الانشا، (القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩١٥)، ج٥، ص ١٨٩، ابن الاحمر، اسماعيل، روضة النسرين في دولة بني مرين، (الرباط: المطبعة الملكية، ١٩٦٩)، ص ٨ ؛ ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم، المؤنس في اخبار افريقية وتونس، ط١، (مطبعة الدولة التونسية، ١٢٨٦)، ص ١٣٧ .

(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون، (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٧١)،ج٧، ص ١٦٦.

(٣) سالم،السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة: الاسكندرية، ١٩٩٩)، ص ٧٨١.

(٤) ابن أبي زرع، علي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، د.ت، ص ١٣.

(٥) راجع ابن زرع، الانيس المطرب بروض القرطاس، الرباط، دار المنصور، ١٩٧٢، ص ٢٨١ ؛ راجع مؤلف اندلسي، الحلل الموشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر، ط١، (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، ١٩٧٩)، ص١٨٦ ؛ الحريري، محمد عيسى، تاريخ المغرب الإسلامي والاندلسي في العصر المريني، ط٢، (الكويت: دار القلم، ١٩٨٧)، ص ٥ .

(٦) ابن زرع، الذخيرة، ص ٢٦ ؛ الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والاندلسي في العصر المريني، ص ٩ .

(٧) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٧، ص ١٦٩ .

(٨) الغنيمي، عبد الفتاح مقلد، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ط ١، (القاهرة: مكتب مدبولي، ١٩٩٤)، ج٥، ص ٢٠٢.

(٩) الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ج٥، ص ٣٣٧.

(١٠) المنوني، محمد، ورقات عن حضارة المرينين، ط٣، (الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة،٢٠٠٠م، ص٨١.

(١١) الغنيمي، موسوعة المغرب العربي، ج٥، ص ٢١٨- ٢١٩.

(١٢) الناصري، أبو العباس احمد بن خالد،الاستقصا لاخبار دولة المغرب الاقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، (الدار البيضاء: دار الكتاب، ١٩٥٥)،ج ٣، ص ١٢ .

(١٣) الناصري، الاستقصا لاخبار دولة المغرب الاقصى، ص ٨٨

(١٤) الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والاندلس في العصر المريني، ص ٢٦٠.

(١٥) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج١، ص ٢٥٩.

(١٦) المنوني، ورقات عن حضارة المرينين، ص ١٢٧

(١٧) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج١، ص ٢٦٦.

(١٨) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج١، ص ٢٦٦.

(١٩) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج١، ص ٢٦٩.

(٢٠) حركات،ابراهيم، المغرب عبر التاريخ،(الدار البيضا ء: دار الرشاد الحديثة، ٢٠٠٠)، ج٢، ص ١٠٣- ١٠٤.

(٢١) الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والاندلس في العصر المريني، ص ٢٦٥.

(٢٢) الغنيمي، موسوعة المغرب العربي،ج٥، ص ٢٧١.

(٢٣) القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج٥، ص ٢٠٠.

(٢٤) الحريري، تاريخ المغرب، ص ٢٧٥.

(٢٥) الغنيمي، موسوعة المغرب العربي، ح ٥، ص ٢٧١- ٢٧٣.

(٢٦) الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والاندلس في العصر المريني، ص ٣١٧- ٣١٨ ؛حركات،المغرب عبر التاريخ، ج٢، ص ١١٥.

(٢٧) حركات، المغرب عبر التاريخ، ج٢،ص ١١٥

(٢٨) سلا: مدينة مساحتها متوسطة، تقع في اعلى المغرب، الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٣١.

(٢٩) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٧، ص ٢٦١ ؛المنوني، ورقات عن حضارة المرينين، ص ١٠٧.

(٣٠) الغنيمي، موسوعة المغرب العربي، ج٥، ٢٨٤ .

(٣١) حركات، المغرب عبر التاريخ، ج٢، ص ١٢٨.

(٣٢) الغنيمي، موسوعة المغرب العربي، ج٥، ص ٢٨٤.

(٣٣) حركات، المغرب عبر التاريخ، ج٢، ص ١٢٩.

(٣٤) المنوني، ورقات عن حضارة المرينين، ص ١٤٧.

(٣٥) الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والاندلسي في العصر المريني، ص ٢٨٤.

(٣٦) الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والاندلس في العصر المريني، ص ٢٨٤- ٢٨٥.

(٣٧) الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والاندلسي في العصر المريني، ص ٣١٧- ٣١٨.

(٣٨)(٣٨) القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج٥، ص ١٩٨.

(٣٩) القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج٥، ص ١٩٨ ؛ حركات، المغرب عبر التاريخ، ج٢، ص ١٢٥ .

(٤٠) القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج٥، ص ١٩٧-١٩٨.

(٤١) ابن مرزوق، محمد، المسند الصحيح الحسن، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس، (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: ١٩٨١)، ص ٤٠٢ ؛ الحريري، تاريخ المغرب، ص ٣٣٦.

(٤٢) حركات، المغرب عبر التاريخ، ج٢، ص ٣٧١- ٣٧٢ .

(٤٣) الناصري، الاستقصا، ج٣، ص ٩٠ ؛ حركات، المغرب عبر التاريخ، ج٢، ص ١٢٦ .

(٤٤) حركات، المغرب عبر التاريخ، ج٢، ص ١٢٦.

(٤٥) حركات، المغرب عبر التاريخ، ج٢، ص ١٣٠.

(٤٦) الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والاندلس في العصر المريني، ص ٣١٩- ص ٣٢٠.

(٤٧) الناصري، الاستقصا، ج٣، ص ٧٦، ص ٨٠.

(٤٨) راجع ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص ٤٠١ ٠- ٤٠٢ ؛ حركات، المغرب عبر التاريخ، ج٢، ص١٣٦-١٣٧.

(٤٩) الناصري، الاستقصا، ج٣، ص٦٥؛ الغنيمي، موسوعة المغرب العربي، ج٥، ص٢٨٣.

(٥٠) الناصري، الاستقصا، ج٣، ص٦٥؛ الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والاندلس في العصر المريني، ص٣٢٤.

(٥١) حركات، المغرب عبر التاريخ،ج٢، ص ١٤١ .
(٥٢) الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والاندلس في العصر المريني، ص ٣٤١- ٣٤٤.
(٥٣) الغنيمي، موسوعة المغرب العربي، ج٥، ص ٢٨٢.
(٥٤) الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والاندلسي في العصر المريني، ص ٢٥٩.
(٥٥) الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والاندلسي في العصر المريني، ص ٣١٧ .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١. ابن الاحمر، إسماعيل، (ت: ٨٠٧)، روضة النسرين في دولة بني مرين، الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٦٩.

٢. ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم،(ت: ١١١٠)، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط١، مطبعة الدولة التونسية، ١٢٨٦.

٣. ابن أبي زرع، علي، (ت: ٧٢٦)، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، د.ت .

٤. ـــــــــ، ـــــــــ، الانيس المطرب بروض القرطاس، الرباط، دار المنصور، ١٩٧٢.

٥. ابن خلدون، عبد الرحمن محمد بن محمد (ت ٨٠٨)، تاريخ ابن خلدون (العبر)، بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٧١.

٦. القلقشندي، أبو العباس احمد، (ت: ٨٢١)، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الابياري، ط٢، بيروت، دار الكتاب اللباني، ١٩٨٢.

٧. ـــــــــ،ـــــــــ، صبح الاعشى في صناعة الانشا، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩١٥.

٨. ابن مرزوق، محمد، (ت: ٧٨١)، المسند الصحيح الحسن في ماثر محاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١.

٩. مؤلف اندلسي، الحلل الموشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ١٩٧٩.

ثانياً: المراجع

١. حركات، إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ٢٠٠٠.

٢. الحريري، محمد عيسى، تاريخ المغرب الإسلامي والاندلس في العصر المريني، ط٢، الكويت، دار القلم، ١٩٨٧.

٣. سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٩.

٤. الغنيمي، عبد الفتاح مقلد، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ط١، القاهرة، مكتب مدبولي، ١٩٩٤.

٥. المنوني،محمد، ورقات عن حضارة المرين، ط٣، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ٢٠٠٠.

٦. الناصري، أبو العباس احمد بن خالد، الاستقصا لاخبار دولة المغرب الاقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٥٥.